



الأمن الإنساني وبقاء الثقافة الإلورية



تحرير وتحقيق

د. إبراهيم عبد الغني جَوُونْدُو
د. عبد السلام باباتندي حنبلي
د. أسماء إمام عبد الكبير



UNILORIN PRESS

**HUMAN SECURITY AND THE
SURVIVAL OF ILORIN EMIRATE
CULTURE**

EDITED BY
I.A. JAWONDO
A. B. AMBALI
A.I. ABDULKABIR

CHAPTER 27

الأسلوب الحوارى فى الشعر العربى الإلورى: شعر عثمان محمد الثقافى أنموذجاً

د. عبد السلام باباندى حنبلى و د. حسين محمد بشير موسى

التوطئة

استخدم الشعراء الإلوريون أسلوب الحوار فى تسيك أشعارهم العربية لما فيه من نغمة فنية سحرية، تجذب القلوب، ولهم بذلك إنتاجات أدبية عديدة، ومن أجلها قصيدة نائية للشاعر عثمان عبد السلام محمد الثقافى عنوانها "الإسلام والتوعية الوطنية". فهذه الورقة تسعى وراء دراسة أسلوبية لإنتاجات علماء إمارة إلورن الشعرية ولا يسعنا هذا المجال لدراسة أعمال جميع هؤلاء الشعراء فى هذه الآونة، لذلك اكتفينا بالشاعر المذكور أعلاه، على سبيل الاستعراض الناقص. وتتجسد هذه الورقة فى المحاور التالية:

- التوطئة
- نبذة تعريفية عن مفهوم الحوار الشعرى
- نبذة يسيرة عن حياة الشاعر
- نص القصيدة ومضامينها
- ملامح فنية فى القصيدة
- القيم الاجتماعية فى القصيدة
- الخاتمة

د. عبد السلام باباندى حنبلى و د. حسين محمد بشير موسى، محاضرات بقسم اللغة العربية، جامعة إلورن، إلورن

د. عبد السلام باباندى حنبلى و د. حسين محمد بشير موسى

ā

1- نبذة تعريفية عن مفهوم الحوار الشعري

يأتي الحوار في اللغة العربية من الفعل الثلاثي المزيد بالألف (حاور ، يُحاورُ، حواراً أو محاورَةً) وهو عرض للتبادل الشفاهي، يتضمن شخصيتين أو أكثر". ويعني كذلك حديث يجري بين شخصيتين أو أكثر في العمل القصصي أو ممثلين أو أكثر على المسرح. (المعجم الوجيز، 1989، ص177) ومن أنواعها الواردة في الشعر العربي القديم: الحوار مع الصّاحب، وهو نوعان: الصّاحب الوهمي كقول امرئ القيس:

قفا نبك من ذكرى حبيبٍ ومنزل *** بسقط اللوى بين الدخول فحومل
(مجلة تكريت، 2007، ص: 66.

والصّاحب الحقيقي، ومن ذلك قولطرفة:

على مثلها أمضي إذا قال صاحبي *** ألا ليتني أفديك منها وأفتدي
(الزوزني (غير مؤرخ) ص 56)

ومنها الحوار مع الحبيبة، مثل قول امرئ القيس أيضا:

ويوم دخلتُ الحِدرَ حذرَ غنيرةٍ *** فقالت: لك الويلاتُ إنك مُرجلي

تقولُ وقد مال الغبيط بنا معاً: *** عقرتَ بعيري يا امرأ القيس فانزِل

فقلتُ لها: سيري وأرخي زمامه *** ولا تبعديني من جناك لمعلّل
(الزوزني، غير مؤرخ، ص17)

ومن أنواعه الحوار مع الطبيعة، نحو الليل، والطلل وما أشبه ذلك، يقول امرئ القيس وهو يخاطب الليل:

ألاأيُّها الليلُ الطويلُ ألا انجلى *** بصُبحٍ، وما الإصباح منك بأمثلٍ

فيا لك من ليل كأنَّ نجومه *** بأمراس كُتَّان إلى صمِّ

جندل (الزوزنى، غير مؤرخ، ص 19)

ويقول عنترة مخاطباً الدار:

يا دارَ عبلَةٍ بالجِواء تكلمى *** وعمى صباحاً دار عبلَةٍ

واسلمى (الزوزنى، غير مؤرخ، ص 130)

وبذلك يمكن القول: إن الشعراء في العصر ما قبل الإسلام قد كسروا النمط السائد من العمود الشعري من خلال أسلوب الحوار، وهذا ما رأيناه جلياً عند امرئ القيس وغيره، إذ استطاعوا أن يعبروا عما يجول في أنفسهم من خلال أسلوب الحوار.

2- نبذة يسيرة عن حياة الشاعر

• ولادته وتعلّمه

ولد عثمان عبد السلام محمد الثقافى بقرية "أزوغي"، في حكومة أسا المحلية، ولاية كوارا، نيجيريا سنة ١٩٦٠م. (ميتوتة، 2009م، ص 15) ترقى وترعرع في حضانة والديه، أخذ مبادئ العلم في مسقط رأسه وكان في فجر حياته يختلف إلى الكتاب كعادة الأطفال في مدينة إلورن، أكمل قراءة القرآن الكريم

عند الشيخ عبد الله بابا، ثم التحق بالمعهد الديني الأزهرى بالورن، ودرس فيه علوم العربية والإسلامية ثم تخرج فيه عام ١٩٧٦م حاصلا على الشهادة الإعدادية. التحق الشاعر بعد ذلك بقسم اللغة العربية جامعة صكتو وحصل منها على شهادة الليسانس بدرجة ممتازة عام ١٩٨٧م. ولم يمكث طويلا بعد عودته من صكتو حتى التحق بقسم الأديان جامعة إلورن وحصل منها على شهادتي الماجستير والدكتوراه في الدراسات العربية عام ١٩٩١م و ١٩٩٨م على الترتيب. حصل الشاعر على شهادة الدبلوم العالي بعد درجة الليسانس، بالمعهد النيجيري للمدرسين، جامعة عثمان بن فوديو، صكتو، عام ٢٠١٠م. (حنبلي، ٢٠١٧م، ص 133)

قضى الشاعر سنة خدمته الوطنية محاضرا في قسم اللغة العربية بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية ميسؤ بؤنشي عام ١٩٨٧م-١٩٨٨م. ثم عاد إلى إلورن وانتظم في سلك التدريس في شعبة اللغة العربية بكلية العربية الحكومية جينيا، ولاية كوارا بين عام ١٩٨٩م و ١٩٩٨م، فانضم بعد ذلك بهيئة التدريس بقسم الأديان، جامعة إلورن عام ١٩٩٩م.

● شاعريته

يعد هذا الشاعر من الشخصيات الأدبية البارزة التي أدت أدوارا ملموسة في مختلف ميادين الأدب العربي في نيجيريا، وبين شعراء هذا العصر الحديث، له قصائد رائعة كثيرة في مختلف الأغراض وبحور شتى، فشعره عصارة فكر

علّمتها الحوادث، وحنكته التجارب، واطّلع على العلوم والمعارف، والحضارة والطبائع.

عمل الشاعر حافلاً بحقائق الكون وأسراره، وأحداث الدهر ووقائعه، وبعلاقات الشعوب وتنبهاتهم، نشرت قصائده فى عدّة مجلات عربية داخل البلاد وخارجها. وله قصائد مطبوعة عديدة منها: "سراج العابد فى المواعظ الجميلة ومدح الشيخ الفضيلة" طبع ونشر عام ١٩٨٢م، وكتاب "القصائد المباركة فى التوسل إلى الله بأسماء النبي"، وله قصائد ومقطوعات عدّة من مخطوطاته، منها هذه القصيدة المدروسة. وقد تناول الباحثون الأكاديميون فى مختلف المراحل العلمية شعره لموضوع الدراسة، منها -على وجه التمثيل- بحث بعنوان: "دراسة فنية لشعر المواعظ لعثمان عبد السلام الثقافى" بقلم عبد السلام ميتوتة ذو القرنين غميري قدّمه لنيل درجة الماجستير بقسم اللغة العربية، جامعة إلورن عام ٢٠١٠م. (حنبل، ٢٠١٧م، ص 134)

يتّجه شعر عثمان عبد السلام الثقافى بمختلف أغراضه الشخصية والاجتماعية والثقافية اتجاهاً إسلامياً، امتازت ديباجة شعره بروق البيان، ويتسم أسلوبه بالسلامة والوضوح. وله تأنس وتأثر شديد فى أسلوب شعره، ببعض شعراء العرب أمثلة أحمد شوقي أو حافظ إبراهيم، وديوان شعره (سراج العابد) يخبر عن حقيقة ما عليه الشاعر.

• وفاته

توفي الشاعر صباح يوم الخميس ٧-٢-٢٠١٩م بعدما صلى الصبح بجماعته إماما، ودفن بعد صلاة الظهر، وله خمسة أبناء، هم: أحمد، وعبد السلام، وسليمان، وحسن، وحسين، رحمه الله رحمة واسعة، وجعل الجنة الفردوس مأواه. آمين.

3- نص القصيدة

أ- صاحب الفكرة

- | | | |
|-------------------------------|-----|-------------------------|
| ١- حاشاي أن أدلى بفكر هُدايتي | *** | إلا لقوم عندهم عقباتي |
| ٢- قوم جياغ عاطش أمصارهم | *** | أقوى الأناس حاجة لفراي |
| ٣- تنبو بهم أرض تباين أهلها | *** | إلابلاذا تنبت الوحدات |
| ٤- أبناؤهم وبناتهم ورجالهم | *** | ونسائهم متوقفوا الأصوات |
| ٥- متناسب أفكارهم مترابط | *** | أغراضهم متفاهم اللّهجات |
| ٦- لا تقهر الأشراف من هم دونه | *** | ظلما وليس ضعافهم بعصاة |
| ٧- من كل معترف بحق مواطن | *** | ومحافظ فيها على الحرمات |
| ٨- متشمر لأمانيتها وحياتها | *** | بسلاحه تلقا سلاح طغاة |

ب- المجيب

- | | | |
|-------------------------------|-----|--------------------------|
| ٩- عجباً لرأيك إنه متصوّب | *** | لولا تجرد وصفه بالذات |
| ١٠- إنّ الحكيم إذا تشوّش دونه | *** | أمر استدّل فدّل كالمرأة |
| ١١- أفلا تصوّر أرضنا بمهارة | *** | كسجنجل تبدي لنا الصّورات |
| ١٢- ما راعني ظلم الملوك لسوقة | *** | فالذئب عاداته تذوّق شاة |

ج- صاحب الفكرة

- ١٣- سمعا لقولكم القويّ قياسه *** لولا ارتقاؤكم بلا مرّقاء
- ١٤- إنّ الأجانب أصبحوا لبلاذكم *** مستعمرين بقوة المتعاقى
- ١٥- جاؤوا لتبديل الأمور بأمرهم *** فرضيتمّ تغيير كلّ حياة
- ١٦- نسخوا تقاليد البلاد جميعها *** بالمحدثات ونحن كالتعجمات
- ١٧- ودعوكمعميا وبكما كافة *** فقبلتم الدّعوى بلا إثبات
- ١٨- منحوكم حرّية ببلادكم *** فأناكم الفوضى بظلم ولاة
- ١٩- أفتحسون النّاس أيسر مركب *** أم تحسبون الملك خير نبات
- ٢٠- فظننتمّ عرش الإدارة لعبة *** تتمتّعون بها بدون رواة
- ٢١- إنّ السّياسة يا رئاسة أرضنا *** لرواية الإفراح والمأساة
- ٢٢- ما بالكم لا ترحمون بلادكم *** بتفقّه القرآن قبل فوات
- ٢٣- وتنبّع الأصحاب بعد رسولنا *** وأئمّة الإسلام بالحسنات
- ٢٤- وتفلسّف الأعلام فى ورقاهم *** وتشاور وقياسها بأناة
- ٢٥- وإذا أشار المرشدون على الهدى *** صارت مقالتهم مقال غواة
- ٢٦- وضعوا القواعد للشّئون جميعها *** كيما تدلّكم على الخيرات
- ٢٧- وبنوا لكم مدنا بمنّ حضارة *** فصبغتموها صبغة الفلوات
- ٢٨- فتشئت آراؤكم وتفارقت *** أهدافكم بتخالف النّسبات
- ٢٩- هذا يخالف ذلكم ببلادكم *** فمتى يكون لكم وفاق رعاة؟
- ٣٠- ورأيتم الأقوام يسرع سيرهم *** وكأنكم حرياء فى الحركات
- ٣١- ياقومنا أدعوكم أن تنعسوا *** فلنومكم أجدى من اليقظات

ج- المعجب

- ٣٢- أكذا تقول وأنت من أفواجنا *** قول الغريب الجائر القنوت
- ٣٣- ما اعتاقني إلّا تكبر ساسة *** جور ذوي الملكوت والثّروات

- ٣٤- فالتأس عندهم الكلاب وقولهم *** مثل التباح فكيف حال عطاقي
- ٣٥- قد أفسدوا بلداننا بتعسف *** وتحكم وتطلب الشهوات
- ٣٦- وتعصب لقبائل وتنافس *** رؤساؤنا وتضيع الأوقات
- ٣٧- وتعارض أمراؤنا في أمرنا *** وتعبد الأحزاب في البلدات
- ٣٨- وتوافق الأقوال في ورقاتهم *** وتخالف الأفعال في العرصات
- ٣٩- فإلى متى سكناتكم يا قومنا *** ووقوفكم عن لجة الخطوات؟
- ٤٠- فتنهوا وتحركوا وتوافقوا *** وتعاونوا وترابطوا بالذات
- ٤١- وتشاوروا في أمرنا وتناطقوا *** فلنطلقكم أشفى من الإنصات
- ٤٢- ويل لقوم بمدحون رئيسهم *** ما لم يكن لهم أخا الغزوات
- ٤٣- يثنى على الملك الشديد جهاده *** ببلاده بغرائب الهجمات
- ٤٤- وتقدم السكان في أقطارهم *** وتعاون الأفراد في الأزمان
- ٤٥- وأماهم فيها على ثرواتهم *** من سارق أو قاطع الطرقات
- ٤٦- وأمانة التجار في أسواقهم *** وتعادل الرماء في الشركات
- ٤٧- وتأذب الصبيان في أخلاقهم *** وتثقف الفتيان والفتيات
- ٤٨- وكذا الزعيم يذمه أصحابه *** ما جار في أقطاره الأشنان
- ٤٩- بتكبر وتجبّر وتحكم *** وتكلف وتشيطان وتعات
- ٥٠- يروي الأنام فسادهم وظلامه *** وتوتر الأيام باللعنات
- ٥١- هذا وليس له سوى أيامه *** إذ سوف يلقي في جحيم عناة
- ٥٢- يا قومنا أتى تحكمون بلادنا *** بالخير مالم تقرؤوا الآيات
- ٥٣- إنا جعلناكم شعوبا بالهدى *** وقبائلا لتعارفوا بصلات
- ٥٤- فتعاونوا بعلومكم وتواصلوا *** بقلوبكم وتفاهموا بلغات
- ٥٥- وتبادلوا الآراء في حركاتكم *** لصلاح ذات بينكم بشبات
- ٥٦- ودعوا التعصب للقبائل واركوا *** لعناتكم للغير بالدعوات

- ٥٧- وتجنّبوا الأصل السّقيم فروعه *** ونفوز فى البدوات والحضرات
- ٥٨- وتبيّنوا قصد السّبيل بفكرة *** وتعلّم وتحقّق الوقعات
- ٥٩- وتمسّكوا التّهجّ الصّحيح أصوله *** فننال فى تطبيقه الثّمرات
- ٦٠- وتعلّموا أنّ العظّات قواعد *** لحياتنا ووسائل التّهضّات
- ٦١- وإذا الرّعيم أبى نصائح قومه *** كبرا فكيف يفوز فى الحملات
- ٦٢- فالبيت لا يبنى بدون أساسه *** والماء لا يجري بدون قناة
- ٦٣- والنّاس مختلف السّلوّك فمنهم *** نقّادة يدعّو إلى الثّورات
- ٦٤- يدعّو جماعته يحمّس قلبهم *** بحقائق ودلائل السّطوات
- ٦٥- ويبيّن الأسرار حيث تسترّت *** ويحلّل الأشكال والعقّدات
- ٦٦- ويفهّم الأفراد حيث تأخروا *** بحقائق الأحداث والتّوّبات
- ٦٧- ويصقّل الأفهام حيث تصدّأت *** لتفطن الحاسّات للتّقطّات
- ٦٨- وينبّه الأرواح حيث تماوتت *** لتأخّب للعيش بعد ممات
- ٦٩- ويهيج الأجساد حيث تفتّرت *** لنهوضها فوراً من الفترات
- ٧٠- وكذا ترى السّكّيت فى سكّناها *** كبناسة يطفى صلى الميجات
- ٧١- يرضى بظلم الظّالمين مفوّضا *** أمرا إلى قدر بكلّ ثبات
- ٧٢- وترى الأناني الكثير مجّاله *** يدعّو لنجدة نفسه التّسمات
- ٧٣- يسعى مغيرا فى البلاد ومنجدا *** ومشرّقا ومغرّبا للذات
- ٧٤- وإذا تصرّف فى الفتى نفس الهوى *** جعلت حقائق عنده شبهات
- ٧٥- فيظنّ أنّ الحقّ جملة قـوله *** فى كلّ أمر غامض الوجّهات
- ٧٦- وبأنّ سير الغير دون مسيره *** من حيث يقذفهم بكلّ حصّات
- ٧٧- متوسّعا فى نقطة بدلائل *** تفضى به فوراً إلى العثرات
- ٧٨- وكأنّه فى غيّه وضلاله *** جان بلا حجج أمام قضاة
- ٧٩- فإذا سلّكنم فى التّهار صراطكم *** وضمّلتموه فكيف فى الظلمات؟

- ٨٠- والمرأ يغلب ما استعان بغيره *** ويذلّ منفردا بدون أداة
- ٨١- كالعود يكسر ما تفرّد وحده *** وإذا تجامع يمنع الكسرات
- ٨٢- يا قومنا أدعوكم أن تفتحوا *** أبوابكم لعبادة وصلاة
- ٨٣- وفطانة وهداية ودلالة *** تنفي العمى وسماحة وزكاة
- ٨٤- وبشارة ونذارة يلقي الفتى *** بهما الطريقة للهدى بنجاة
- ٨٥- وصداقة وتجارة بأمانة *** وإغاثة وإعانة بأداة
- ٨٦- وعبادة في وقتها وصناعة *** بأوانها ومهارة وحياة
- ٨٧- وإمامة نمشي بها نخج الهدى *** وإدارة نحى بها وهداة
- ٨٨- وحماية لبلادنا ونظارة *** وحراسة لبيوتنا ووقاة
- ٨٩- ودراسة دينية لحياتنا *** وثقافة عقلية للنكات
- ٩٠- وحضارة علمية في شكلها *** يدري الفتى بعلومها الوقعات
- ٩١- ورعاية لمواعيد في وقتها *** وعقوبة الجاني أخي التقضات
- ٩٢- يا قومنا إنّ البلاد تعرّضت *** لمصاعب وهوى ذوي التزعزعات
- ٩٣- أين المفر؟ أمامنا بحر العدى *** وورائنا جيش الهوى بحصاة
- ٩٤- كيف الأمان على البلاد من العدى *** والحصن مفتوح بدون حماة
- ٩٥- كيف التقدّم والمراد تمتع *** وتناوم في الدّور والحجرات
- ٩٦- قوموا فتستبقوا الصّراط إلى العلى *** وتناجوا فتكملوا النقصات
- ٩٧- وتناقشوا حيث النقاش كفيصل *** وتوافقوا حيث الوفاق مؤات
- ٩٨- هذا البيان قواعد ودلائل *** وقرائح وهبتكم فكرات
- ٩٩- ثمّ الصلاة على النّبي محمّد *** والآل والأصحاب خير صلاة
- (حنبلي، ٢٠١٧م، ص 128)

4- مضمون القصيدة

استهل الشاعر هذه القصيدة بحوار سياسى عن تصوّره للمجتمع المثالى الذى يرحو أن يوجّه إليه أفكاره، وأخذ من البيت الأول إلى البيت الثامن يصف حالة الشعب الاقتصادية والاجتماعية وما يعانىة المجتمع من جوع وعطش، وعدم الأمن والاستقرار فى ظلّ النظام السياسى الباطل، وذكر ما فيهم من الجودة والسيّمات الفاضلة، مثل الاتحاد على الحقّ والعدالة والحفاظ بحقوق المواطنين وحرمة البلاد.

أجابه صاحبه من البيت التاسع إلى البيت الثانى عشر بعجبه واستبعاده لرؤية أهل السيّمات المذكورة، وأقرّ بصواب الفكرة، ووافق على ما للبلاد من فضل على رفاقها لولا سوء إدارتها تحت ظلّ الرؤساء الخادعة.

استمرّ صاحب الفكرة من البيت الثالث عشر إلى البيت الواحد والثلاثين يصوّر حالة الشعب فى أيدي المستعمرين الذين احتلّوا البلاد، وأغاروا على عرقها وتقاليدها، واخترعوا سلوكاً سياسياً خطيراً لمستقبل البلاد، وأظهر حزنه وغضبه لعباوة عملائهم المواطنين الذين قاموا برئاسة البلاد عقب الاستقلال البريطانى، وأخذوا ينهجون نهجهم ويسلكون مسالكهم إظهاراً لرضاهم وموافقتهم. ثمّ نبّه الشاعر رؤساء البلاد أن يضعوا أسلوبهم السياسى على أساس فهمهم الإسلامى الحنيف بتفقّه شرعى، واقترح لهم الدّستور الملائم للحكومة لقيادة البلاد نحو النّجاة، وأرشدهم إلى التمسك بالحوار والشورى وبثّ حبّ العدل والمساواة والزّحمة بين النّاس واعتبار السياسة حمولة ثقيلة، وأمانة مسؤولة عنها يوم الحساب.

ثمّ أجابه صاحبه وتخلّص إلى نقد سلوك بعض من السّاسة فى البلاد التى تشمل الكبر والظلم والخديعة والتكّلب فى جمع الممتلكات، والأنانية، والتعصّب القبلى، والسياسة بعنف وعدم المتابعة لقرارات البلاد وموافقاتها، الأمر الذى قد يقود البلاد نحو الهبوط

والتفهم، ثم سجل سخطه لعدم تحرك الشعب لإنكار هذه التدخلات البائسة بأصواتهم الشاكية.

لم يكتف المhib على هذا القدر، بل أخذ يغري الساسة بالتمسك بالكتاب والسنة والأخذ بتقوى الله العزيز الحكيم، وأوتد هذه الدعوة باقتباس قوله تعالى: "يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم" (سورة الحجرات، الآية ١٣) فدعا إلى الترابط والتعاون والتواصل والتعاطف والتشاور، والتنافس في الإصلاح حسب السنة المتبعة على عهد أصحاب القرون المفضلة. وحذر الشعب من معارضة الحكومة الصالحة وإبطال مصدقيتها وإثارة الفتنة ضدها. ثم وجههم إلى الاهتمام الديني كمبدأ أساسي لمداخلتهم السياسية، فعرضهم على اغتنام العبادة بأنواعها للتواصل إلى النهج الصحيح في سياسة البلاد.

اختتم الشاعر هذه القصيدة بإثبات ما تواجه البلاد من المشاكل السياسية، وحاول أن يقترح من الحلول ما أمكن، ودعا إلى الاعتاض بما سبق من الذكر والنصائح، لأن الشعب بين الضررين ويلزم أن يرتكب أحفهما، ثم تبههم على إكمال النقائص وإصلاح المفسدات، واتخاذ الحوار والنقاش بديلا للشغب والثورات.

5- القيم الاجتماعية في القصيدة

اتخذ علماء إمارة إلورن الشعر العربي أداة للتعبير عن مشاعرهم وأحاسيسهم، ولدعوة إلى تعريف الناس بحقوقهم، وبسبل المطالبة بها باستعمال الأساليب المقنعة. ولقد امتلأت القصائد السياسية المدروسة في هذا الباب بأفكار اجتماعية قيمة، منها:

أ- الدعوة إلى السياسة بلا عنف

أنكر الشاعر الحسد والبغضاء والعصبية بين شعب هذا الوطن وقبائلها وأنكر ممارسة الشغب والثورة المفضية إلى انتهاك الحقوق الآدمية وسفك دماء الأبرياء. يقول الشاعر:

- ٥٦ ودعوا التعصّب للقبائل واتركوا *** لعنائكم للغير بالدّعوات
٥٧ وتجنّبوا الأصل السقيم فروعه *** ونفوز فى البدوات والحضر

ب- اتخاذ الحوار والشورى سبيلاً إلى حلّ المشكلات الواقعة

دعا الشاعر إلى التّرابط والتّعاون والتّواصل والتّعاطف، واتخاذ الحوار والتّفاهم فطنة للحصول على الحلّ اليقيني للأزمات الاجتماعية، وللقضاء على الشّجار والفوضى وحذر الشعب عن معارضة الحكومة الصّالحة وإبطال مصدقيّاتها وإثارة الفتنة ضدّها. يقول الشاعر:

- ٤١ - وتشاوروا فى أمرنا وتناطقوا *** فلنطقكم أشفى من الإنصات
٥٥ وتبادلوا الآراء فى حركاتكم *** لصالح ذات بينكم ثبات
٥٨ وتبينوا قصد السّبيل بفكرة *** وتعلّم وتحقّق الوقعات

د- التّروغيب فى التّعاون والتّأخى

لم يكتف الشاعر بتحليل ما تواجه أبناء نيجيريا من المشاكل لكن قدّم ما يراه حلاً للمشاكل، أمثلة التّعاون بين أفراد القبيلة والتّأخى على المعروف، ونبد الحقد، والبغض، والحسد، والمقاطعة. ثمّ أغراهم أن يغتنموا أية فرصة لنيل مستهدفاتهم بقوّاتهم المتّحدة، وأن يسلكوا مسالك السّلم فى النضال، وأبدوا آراءهم نحو وحدة الأمة، والتّرابط تجاه سائر التّحدّيات الاجتماعية مشيرين إلى أنّ الفوز فيه والقضاء على التّفكك والانقسام. قال الشاعر:

- ٤٠ - فتنّبوا وتحركوا وتوافقوا *** وتعاونوا وترابطوا بالذّات

هـ- الانتظام بالشّريعة الإسلامية

تخلّص الشاعر إلى تقديم التّوعية لشبّان البلاد على قيمة العدالة وأهمية الإنصاف، وأقرّ بأنّ فيها الحرّية، فالقوى يتساوى مع الضّعيف، والفقير مع الغني، ولا يجلس أحد على حقوق أحد ولا يقوم على طريقه. وفيها الأمن والاستقرار، فكلّ يرى الدّنيا حلوة، ولا يتمنى أحد

الموت ولا هو يرجو الهلاك، ولا يعدّ نفسه لإثارة الفتنة، فإنّما يطلب طيب المعيشة. وأخذ يوصي الحكومة بأن يبنوا سياستهم على أساس الدين الإسلامي الحنيف بتفقّه شرعي، واقترح لهم الدّستور الملائم لقيادة البلاد نحو النّجاة، وأرشدتهم إلى التمسك بالكتاب والسنة واعتبار السياسة حمولة ثقيلة، وأمانة مسؤولة عنها يوم الحساب. يقول الشّاعر:

٢٢ ما بالكُم لا ترحون بلادكم *** بتفقّه القرآن قبل فوات
٥٥ وتمسكوا التّهج الصّحيح أصوله *** فننال في تطبيقه الثّمرات

6- الملامح الفنّية في القصيدة

١ - العاطفة

نلاحظ أنّ العاطفة في شخصية هذا الشّاعر قويّة صادقة، فصدقيتها في تصوير الأمور كما هي، وذلك في كونه أحد المعنيين بهذه المشاكل السياسية المعالجة في القصيدة، وبأنّه شاهد بعض الوقائع، وعانق من معاناتها، وأخبر بتلك حسب وقوعها. فعاطفته مرتفعة عند إظهار الغضب والحزن على ما يقاسيه المواطنون، وعند تحريكهم لمواجهة هذه التّحديات، يقول الشّاعر:

٩٢ - يا قومنا إنّ البلاد تعرّضت *** لمصاعب وهوى ذوي التّزعزعات
٩٣ - أين المفر؟ أماننا بحر العدى *** وورائنا جيش الهوى بحصاة

٢ - الأسلوب

اتخذ الشّاعر لنفسه طريقة المعلّم الناصح الذي بحث على الفضائل، ويحاول الإقناع بها في صدق وصراحة، واستخدم الحوار وسيلة لإفهام القراء والسّامعين، وبادر إلى صميم الكلام بدون الوقوف على الأطلال المعتاد عليه الشعراء القدامى. واختار ألفاظاً سهلة في بنية القصيدة وفي سرد أفكارها. راعى دقة المناسبة بين اللفظ وموقعه في الكلام، وأصابني استخدام الصّور البيانية، فكان يطنب الكلام بدون إخلال، ولاسيما حالة تصويره لأحوال الشعب الاجتماعية وتكراره

الاستفهام للإنكار، يقول الشاعر:

٩٣- أين المفر؟ أماننا بحر العدى *** ووراءنا جيش الهوى بحصاة

٩٤- كيف الأمان على البلاد من العدى *** والحصن مفتوح بدون حماة

٩٥- كيف التقدّم والمسرّاد تمتّع *** وتناوم فى الدّور والحجرات

٩٦- قوموا فتستبقوا الصّراط إلى العلى *** وتناجوا فتكملوا النقصات

٣- قاموس الشعر

اختار الشاعر فى هذه القصيدة من الكلمات أقواها على إحساسه وأهداها إلى تحقيق هدفه ومراده، هتج القارئ فى التطلّع فى المناجد ولم نشعر من عباراته غرابة ولا أية تعقيد، لفظية كانت أو معنوية، فكلمة "متصوّب" فى البيت التاسع تعنى "صواب" وكلمة "سجنجل" فى البيت الحادى عشر بمعنى "مرآة" وكلمة "راعنى" بمعنى "أعجبني" فى البيت الثانى عشرة وكلمة "مرفاة" أى "وسيلة" فى البيت الثالث عشر، وكذلك كلمة "عرش" أى "كرسى" فى البيت العشرين، وكلمة "أناة" فى البيت الرابع والعشرين تعنى "تدبّر" وكلمة "تعمموا" أى "تناموا" فى البيت الواحد والثلاثين، فكلمة "سكنات" بمعنى "سكوت" فى البيت التاسع والثلاثين، وكلمة "صلّى" أى "نار" فى البيت السبعين، وكلمة "مصاعب" فى البيت الثانى والتّسعين تعنى "مشقّات"، أصبحت هذه الكلمات ملائمة فى المواضع من وجهة الوزن والصّوت لاختلافها مع مرادفاتّها فى التّفعيلات. وكلمة "الأفراح" التى يضاد كلمة "المأساة" فى البيت الواحد والعشرين، اختارها الشاعر لشعور روح بلاغى، وذلك الطّباق، وكذلك اختار الشاعر كلمة "أشفى" أى "أولى" فى البيت الواحد والأربعين، وإن كاننا على تفعيلة واحدة، فاختيار "أشفى" اعتباراً لحالة الغثيان التى كانت عليها البلاد.

ومن هذه الكلمات ما قد اختارها الشاعر إظهاراً لمهارته فى استعمال اللغة وتشجيعاً فى التطلّع فى كتب الأدب الأمهات واستخدام القاموس، فكلمة "حاشاي" فى البيت الأول

تستعمل للتزيه ونفي الاحتمال، وهي مستعملة في كثير من النصوص الأدبية القديمة ولا سيما المدائح النبوية، وكذلك كلمة "التعجات" في البيت السادس عشرة تعني "الأغنام".

٤- الوحدة العضوية في القصيدة

راعى الشاعر الوحدة العضوية في هذه القصيدة، أتى بفقراتها في إطار واحد وضمن منطق متمائل بأسلوب مسلسل عذب، وصل بين جملة بدون إخلال ولا إملال وفصل حيث يرى الفصل أحسن، أظن الكلام ولم يخرج من الغرض الأساسي. ففي الأبيات العشرين الأولى مثلاً، فصل الشاعر بين فقرات أبياتها، ولم يعطف بينها بالواو إلا نادر وذلك بين مصراعي بعض منها ليجيء هذه الأبيات توضيحاً لما سبق، ففي فقرات تلك الأبيات تألف تام لاتحاد التراكيب إخباراً. ثم أتى بخمسة أبيات معطوفة بعضها على بعض بالواو، فالمعنى فيها واحد (نقد الشعب في بعض النقصات). ومن البيت الواحد والثلاثين إلى البيت الخامس والثلاثين أتى الشاعر بخمسة أبيات مفصولة بعضها من بعض ليجيء كل منها توضيحاً لما تقدم، وبعد ذلك أتى باثني عشر بيتاً موصولة بعضها إلى بعض لاتحاد الفقرات إخباراً وتصويراً لحالة الشعب الاجتماعية. ومن البيت الرابع والخمسين إلى البيت الثاني والستين وصل الشاعر بين الفقرات، وذلك لاتحاد التراكيب فيها إنشاءً. وهكذا تسلسلت الجمل والفقرات من بداية القصيدة إلى النهاية.

٥- التدقيق البلاغي

نلاحظ أن الصور الخيالية في هذه القصيدة قليلة، لأن الشاعر يخاطب العقل ويحرص على الإقناع ليرز أفكاره، ويدل على ذلك، وقد نجد في النص بعضاً من الصور البيانية مثل:

١- التشبيه المفصل

نموذج التشبيه المفصل في البيتين (٧٨ و ٣٠) ففي البيت الثلاثين قوله: "وكأنكم حرباء في الحركات" شبه الشاعر المخاطبين بالحرباء في التباطى، وفي البيت الثامن والسبعين قوله: "وكأنه في غيّه وضلاله جان" تشبيه الأناني من الرؤساء بالجنون في الضياع.

٢- التشبيه المجمل

نموذج التشبيه المجمل في البيت (١٠، ١١، ١٦، ٣٤، ٧٨، ٨١، ٩٧) فقوله في البيت العاشر: "إنّ الحكيم إذا تشوّش دونه أمر استدلّ فدلّ كالمرأة" شبه الشاعر دلالة الحكمة بدلالة المرأة، وذلك في الوضوح والتبيين، وقوله في البيت الحادي عشر: "أفلا تصوّر أرضنا بمهارة كسجنجل تبدي لنا الصّورات" تشبيه الأرض بسجنجل أي المرأة في الوضوح، وكذلك قوله في البيت السادس عشر: "ونحن كالتعجّات" تشبيه المواطنين بالأغنام في الحماقة. ومنها قوله في البيت الرابع والثلاثين: "وقولهم مثل التّباح" شبه الشاعر شكوى المضطّرين من أهل البلد بنبح الكلب في عدم جذبه الانتباه، وفي البيت الحادي والثمانين قوله: "كالعود يكسر ما تفرّد وحده" تشبيه تفرقة المعنيين بالعود في الضعف، وقوله في البيت السابع والتّسعين: "التّقاش كفصل" شبه الشاعر الحوار بالسيف في الحدة. ووجه الشّبه في كلّ منها ملحوظ. ففي التشبيهات المذكورة بلاغة الإيجاز، ولولاه لطالت العبارة.

٣- الاستعارة التصريحية

مثال الاستعارة التصريحية في البيت (٩٣ و ١٢) قوله: "ما راعني ظلم الملوك لسوقة، فالذّئب عاداته تذوّق شاة، استعار الشاعر كلمة "الذّئب" للسياسيين الخادعين، وفي البيت (٩٣) قوله: "أين المفرّ؟ أماننا بحر العدى"، وقوله: "وورائنا جيش الهوى" استعار كلمة "بحر" لتحديّة وكلمة "جيش" لقيّد والعلاقة بينها المشابهة. وفي هذه الاستعارة أيضاً بلاغة الإيجاز.

٤- الخبر

هذه القصيدة تمثل منظوما تاريخيا، صوّر بها الشاعر حالة أبناء البلاد المحتلة البائسة، لذلك نجد حلّ أبيات هذه القصيدة خيرية، مثل قوله في البيت الثاني: "قوم جياحٍ عاطشٍ أمصارهم" وقوله: "جاؤوا لتبديل الأمور بأمرهم" في البيت الخامس عشر، وقوله: "فرضيتُ تغيير كلِّ حياة"، وفي البيت الرابع والستين قوله: "يدعو جماعته يحتمس قلبهم". والغرض من هذه الإخبار الحثّ على السعي والجدّ.

٥- الأمر

تسعى هذه القصيدة وراء تنبيه الناس وتوعيتهم على حقوقهم الوطنية، وهي عين الطلب، لذلك نرى الشاعر يأمر المعنيين بالمعروف ويحذّرهم عن المنكرات، فكثر الأوامر في شعره، ومن هذه الأوامر قوله في البيت الأربعين: "فتنبّهوا وتحركوا وتوافقوا" وفي الأبيات (٥٤، ٥٥، ٥٦، ٩٦، ٩٧) قوله: "فتعاونوا بعلومكم وتواصلوا" وقوله: "وتبادلوا الآراء في حركاتكم" فقلوه: "ودعوا التعصّب للقبائل" وقوله: "قوموا فتستبقوا الصّراط إلى العلى" وقوله: "وتناقشوا حيث النقاش كفيصل". والمعنى في هذه الأوامر الإرشاد، فالشاعر لا يريد تكليفا ولا يقصد إلزاما وإنما ينصح ويرشد إلى الطريق المثلى.

٦- النداء

اكثر الشاعر في دعوة المخاطبين في هذه القصيدة، والغرض في النداء ليس طلبا للإقبال فإثما لتنبيههم وجذب شعورهم، يقول الشاعر مثلا:

٩٢- يا قومنا إنّ البلاد تعرّضت *** لمصاعب وهوى ذوي التزعّات

٧- الطباق

جمع الشاعر بين كلمات وأضدادها في بعض أبيات هذه القصيدة، ففي البيت الواحد والعشرين جمع بين "الإفراح والمأساة" وفي البيت الواحد والثلاثين جمع بين "النوم واليقظة" وبين "توافق وتخالف" في البيت الثامن والثلاثين، وفي البيت الواحد والأربعين جمع الشاعر بين "الناطق والإنصات" ولاحظنا الطباق في البيت الثالث والسبعين بين "مشرق ومغرب"

وفى البيت الرابع والسبعين بين "حقائق وشبهات" وكذلك فى البيت الثالث والتسعين جمع الشاعر بين "أمام ووراء".

٨- المقابلة

من الظواهر البلاغية فى هذه القصيدة ذكر كلمات وما يضادها على الترتيب فى بيت شعري، كالجمع بين "الأصل والفرع" وبين "البدوات والحضرات" فى البيت السابع والخمسين قوله:

٥٧- وتجنّبوا الأصل السقيم فروعه **** ونفوز فى البدوات والحضرات

٩- الاستفهام الإنكارى

تكرّر الشاعر استفهامه الإنكارى فى البيت (٩٥، ٩٤، ٩٣، ٧٩، ٢٩) ففي البيت التاسع والعشرين قوله: "فمتى يكون لكم وفاق رعاة؟" وفى البيت التاسع والسبعين قوله: "إذا سلكتكم فى النهار صراطكم، وضللتموه فكيف فى الظلمات؟" فى البيت الثالث والتسعين قوله: "أين المفتر؟ أماننا بحر العدى" وفى الرابع والتسعين "كيف الأمان على البلاد من العدى، والحصن مفتوح بدون حماة" ففي البيت الخامس والتسعين قوله: "كيف التقدّم والمراد تمتّع"، وبلاغة هذه الاستفهام جذب الانتباه وريادة العقول.

٦- الموسيقى

تتمثّل موسيقى هذه القصيدة فى الوزن والقافية المختارين لدى الشاعر، فالقصيدة منظومة على منوال البحر الكامل المقطوع العروض والضرب، والبحر عبارة عن تفعيلة متكرّرة ثلاث مرات هكذا: متفاعِلن متفاعِلن متفاعِلن *** متفاعِلن متفاعِلن متفاعِلن للكامل ثلاث أعارِض وتسعة أضرب، فالعروض الأولى: صحيحة "متفاعِلن"، ولها ثلاثة أضرب: صحيحة مثلها "متفاعِلن" ومقطوع "متفاعِلن" ومضمر "متفاعِلن". والثانية: حدّاء "فعلِن"، ولها ضربان: أحدٌ مثلها "فعلِن"، وأحدٌ مضمر "فعلِن". والثالثة: مجزوءة صحيحة

"متفاعِلن"، ولها أربعة أضرب: مرقَل "متفاعلاتن" ومذيل "متفاعِلان" وتام "متفاعِلن" ومقطوع "فعِلاتن". (الهاشمي، 1995م ص55)

بنى الشاعر هذه القصيدة على حرف التاء وهي إذن قصيدة تائية. ونذكر بامعان النظر في هيكل أبيات القصيدة أنّ الشاعر قد بذل جهداً جبّاراً في إحكام بنائها، ومع ذلك نلاحظ بعض الزخافات المفردة فيها نحو الإضمار الذي غلب على أجزاء بيت شعره، فقلّب الوزن إلى: مستفعِلن مستفعِلن متفاعِلن*** مستفعِلن مستفعِلن متفاعِلن

الخاتمة:

يتّضح خلال هذه الدراسة مقدرة الشاعر وتفنّنه في استخدام الأساليب الأدبية، وقد تجلّى ذلك في قصيدته المختارة التي تمت دراستها من حيثية أسلوبها الحوارية الذي اختاره لما فيه من نفثات فنية سحرية، وموضات إبداعية خلاقية، التي تجذب القلب وتمسّ شغافه بتجربة شعرية صادقة. ولقد أثبت الباحث وجود الأشعار الحوارية العربية في إمارة إلورن، ونقد مضامين المختارة منها وفقاً للتنمية الاجتماعية في نيجيريا، ثمّ لقت الأنظار إلى أدوار العلماء الإلوريين في تعديل الأوضاع الاجتماعية في البلاد بأشعارهم العربية الرائعة. ونقترح للمعنيين بشئون اللغة العربية وآدابها في إمارة إلورن أن يهتموا بنشر أعمال علمائها الفنية ودراساتها دراسة تجعلها أكثر وضوحاً، وأشمل إفادة.

المصادر

- الحسين بن أحمد الزوزني أبو عبد الله (غير مورخ) شرح المعلقات السبع، الدار العالمية.
- أحمد الهاشمي ميزان الذهب (1995م) دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- عبد السلام باباتندي حنبلي (٢٠١٧م) "الشعر الاجتماعي العربي في بلاد يوروبا، نيجيريا من ١٩٦٠ إلى ٢٠١٣م: دراسة تحليلية" بحث قدّمه إلى قسم اللغة العربية جامعة إلورن، نيجيريا، لنيل درجة الدكتوراه في اللغة العربية.

- عبد السلام باباتندى حنبلى (٢٠١٩م) " القيم الاجتماعىة والخصائص الفنّية فى صفوة من الأشعار العربىة ببلاد يوربا- نيجيريا" مخطوط.
- عبد السلام ميتوتة ذو القرنين غمبرى (2009م) دراسة فنّية لشعر المواعظ لعثمان عبد السلام الثقافى، بحث مقدّم لنيل درجة الماجستير بجامعة إلورن.
- لطيف أونيريتى إبراهيم، (٢٠١١م) الشعر الإسلامى العربى فى بلاد يوربا من ١٩٦٠ إلى ٢٠٠٩م"، بحث قدمه إلى قسم اللغة العربىة جامعة إلورن، نيجيريا، لنيل درجة الدكتوراه فى اللغة العربىة.
- مجمع اللغة العربىة (1989م) المعجم الوجيز، جمهورية مصر العربىة.

